



جامعة تكريت

كلية التربية للعلوم الإنسانية

قسم اللغة العربية

محاضرات

الأدب العربي الحديث – النثر

للمرحلة الرابعة

محاضرة رقم (2)

إعداد

أ. د. إبراهيم مصطفى الحمد

2025 – 2024

النثر في العصر العباسي:

زخر العصر العباسي بالأحداث التاريخية، والتقلبات السياسية، كما زخر بالتطورات الاجتماعية التي نقلت العرب من حال إلى حال، وقد كان لكل هذا، فضلا عن نضج العقول بالثقافة، أثر واضح في تطوير الأدب بعامة، والكتابة بصفة خاصة. لقد تقدمت الكتابة الفنية في هذا العصر تقدما محسوسا؛ وسارت شوطا بعيدا في سبيل القوة والعمق والاتساع.

وأصبح النثر العربي في العصر العباسي متعدد الفروع، فهناك النثر العلمي والنثر الفلسفي والنثر التاريخي، والنثر الأدبي الخالص، وكان في بعض صورته امتدادا للقديم؛ وكان في بعضها الآخر مبتكرا لا عهد للعرب به وكان تشجيع الخلفاء والوزراء والرؤساء للأدب وللكتاب باعثة على النهوض بالكتابة، داعيا إلى ارتفاع شأنها، وسمو منزلتها، ثم كان التنافس القوي بين الأدباء وتسابقهم إلى خدمة الخلفاء والرؤساء حافزا على تجويدها والتأنق في أساليبها.

والأغراض التي عبر عنها النثر الفني في هذا العصر قد اختلفت وبعد أن كان النثر الأموي خطابته وكتابته منصرفا بوجه عام إلى أغراض سياسية وحزبية، ولم يتجه إلى الأغراض الأخرى إلا في صورة ضئيلة، فانه في العصر العباسي قد اتجه إلى كثير من الأغراض والموضوعات الشخصية والاجتماعية والانسانية؛ كالمدح والهجاء والثناء والاعتذار والتهنئة والتعزية والاستعطاف، والوصف والنسيب والفكاهة والنصح، ونستطيع القول بأن النثر خطا خطوة واسعة؛ فهو لم يتطور من حيث موضوعاته وأغراضه فقط؛ بل إن معانيه قد اتسعت وأفكاره قد عمقت، وأخيلته قد شحذت؛ لأن مشاهد الحياة ومقوماتها العامة قد تغيرت.

مظاهر نهضة النثر في العصر العباسي:

1. تنوع فنونه وأغراضه: فقد تناول كل مجالات الحياة واستخدمته الدولة في الشؤون السياسية والاجتماعية والثقافية.

2. وصول الكتاب إلى المناصب الوزارية.

3. أنه أصبح وعاء لثقافات جديدة، كانت نتيجة لامتزاج الفكر العربي بأفكار الأمم الأخرى.

4. رقي الأفكار وعمق المعاني.

5. التقنن في أساليبه وظهر مدارس متنوعة.

أسباب نهضة النثر في العصر العباسي:

1. استقرار الأمور في الدولة واتساع العمران، وما يتبع ذلك من رخاء.

2. النضج العقلي وظهر آثار التقدم الفكري في الدولة.

3. ظهور أجيال جديدة من المثقفين من أبناء الأمم المستعربة الذين جمعوا إلى الثقافة العربية الأصيلة فنونا جديدة من ثقافات آباؤهم الفرس، الهنود و اليونان.

4. تشجيع الخلفاء والأمراء للكتاب وإغداق الأموال عليهم.

5. وصول الكتاب إلى المناصب الكبيرة جعل الكتابة مطمح كل راغب في الجاه والسلطان.

6. التنافس بين الكتاب في سبيل الإجابة الفنية وتشجيع الخلفاء والأمراء لهم.

تأصيل القصة في الأدب العربي القديم

يتوافر الماضي العربي على مادة سردية غنية، فقد عرف العرب أنواعاً قصصية بارزة من أهمها:

أ./ أساطير الأولين: وهي أقرب للقصص البطولي المدهش، وأشهر أعلام هذا النوع قصاص جاهلي اسمه النضر بن الحارث. جلب قصصه من بلاد فارس والحيرة (عاصمة المناذرة)، فروى قصص رستم وإسفنديار وغيرهما قبل جمع هذه القصص فيما يعرف بالشاهنامة الفارسية، وهي ملحمة مطولة منسوبة للفردوسي.

ب./ الخرافة: وجاء اسمها من قصة عرفت باسم (حديث خرافة)، وحسب القصة: خرافة رجل استهوته الجن فعاش معها زمناً، ثم عاد ليحدث بقصته العجيبة، فصارت الخرافة من بعد اسماً للقصة العجيبة المرتبطة بعالم الجن وقصص الكهان.

ج./ السيرة: ومن نماذجها السيرة النبوية لابن إسحاق، وابن هشام، والسيرة الشعبية (مثل سيرة عنترة، وسيرة الزبير سالم - المهلهل بن ربيعة، وسيرة سيف بن ذي يزن وسيرة الأميرة ذات الهمة... وغيرها). أما السيرة الذاتية، فمن أهم أمثلتها: كتاب التعريف بابن خلدون ورحلته غرباً وشرقاً، وكتاب طوق الحمامة لابن حزم الأندلسي.

د./ الرسالة القصصية، أو القصة الفلسفية: ومن نماذجها: قصة حي بن يقظان لأحمد بن طفيل، ورسالة الغفران لأبي العلاء المعري، ورسالة التوابع والزوابع لابن شهيد الأندلسي. والرسالة القصصية حكاية مطولة نسبياً، تقترب من طول الرواية في العصر الحديث، وتعالج فكرة تأملية فلسفية بأسلوب قصصي، ومن إنجاز فكرة الرحلة إلى العالم الآخر، تأثراً برحلة الإسراء والمعراج، وقد أثرت رسالة الغفران مثلاً في دانتي الإيطالي الذي كتب (الكوميديا الإلهية) في صورة رحلة إلى عالم الفردوس والجحيم بما يقترب من بنية رسالة الغفران.

هـ. / ألف ليلة وليلة: وهي القصة المشهورة المرتبطة بشهرزاد وشهريار، وتعد من نفائس السرد العالمي بعد أن ترجمت إلى أكثر لغات العالم، وقد كرست ألف ليلة وليلة جملة من مبادئ السرد العالمي كمبدأ الإطارية، والربط بين القصة والحياة، وفكرة القصة المسلسلة (المتوالية القصصية)، وتعميق ارتباط السرد بالليل (شهرزاد تسكت حين يصيح الديك)، وعدت أيضاً من أرفع نماذج الأدب العجائبي في العالم.

و. / المقامة: وقصص المقامات قصص واقعية ناقدة تصور تحولات البطل وأزماته، ومن ناحية شكلها القصصي تقترن ببطل محتال ذكي وبرايي، أو سارد مصاحب للبطل، كما تتميز بلغتها المسجوعة واضحة الإيقاع، وتطعم أحياناً بالشعر، وأشهر نماذجها: مقامات بديع الزمان الهمذاني، ومقامات الحريري.

ز. / المنامة: من نمط الأحلام، وتقرن مبكراً بين السرد والحلم، وأهم نماذجها: منامات الوهراني.

ح. / تكاذيب الأعراب وقصص الفشّر: القصة هنا كذبة بيضاء تميل إلى المبالغة والإدهاش، وقد أفرد لها أبو العباس المبرد باباً واضحاً في كتابه (الكامل في اللغة والأدب).

ط. / النوادر: وهي الحكاية المرحّة أو الطرفة، وترتبط بشخصيات ضاحكة ومضحكة، منها شخصيات في عصر صدر الإسلام، وشخصيات الحمقى والطفيليين من مثل: هبنقة، جحا.

ي. / قصص الرحلة: مثل رحلة ابن فضلان، ورحلة ابن جبير، ورحلة ابن بطوطة.

ق. / الكرامة الصوفية: المرتبطة بقصص العجائب عن كرامات الأولياء والصالحين من المتصوفة، كالحلاج ومحيي الدين بن عربي، وتتوافر الرسالة القشيرية على نماذج مناسبة منها، وكذلك كتاب أخبار الحلاج.

هذا فضلاً على الخطب والرسائل وسجع الكهان الذي كان معروفاً منذ ما قبل الإسلام وبقي حاضراً بعد الإسلام أيضاً، أما الخطب والرسائل فهي موجودة حتى يومنا هذا.

- من أبرز المصادر السردية المدونة أو المكتوبة التي يمكن أن نقرأ فيها نماذج مميزة من السرد العربي القديم ما يلي:

١. كتاب كليلة ودمنة لابن المقفع.

٢. كتاب البخلاء للجاحظ.

٣. كتاب أمثال العرب للمفضل الضبي.

٤. الإمتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي.

٥. الفرج بعد الشدة، للقاضي التنوخي.

٦. كتاب التيجان في ملوك حمير لوهب بن منب [هـ].

٧. كتاب أخبار عبيد بن شريه.